

# مستشرقون ورحالة على رمال المملكة

شغلت الجزيرة العربية منذ قرنين وأكثر الرحالة والمستشرقين بما فيها من مفردات خاصة وعوالم فريدة وغامضة بالنسبة للأوروبيين. وكذلك صلاتها الجغرافية المؤثرة بعدد من مواقع الحضارات دوراً مؤثراً في جعلها محط أنظار واهتمام كثير من الرحالة الأجانب والمستشرقين، الذين خلفوا عنها كثيراً من الحكايات والقصص والمؤلفات والصور الماتعة، موثقين ما رأوه وسمعوه ولمسوه حين وطئت أقدامهم أرض بلاد الحرمين، كاشفين عن إعجابهم وتأملمهم العميق في ثراء وتنوع الموروث الحضاري والتاريخي للمملكة، وما تنطوي عليه من أسرار ونوادير وأخبار، خلاف الانطباعات التي كتبها مجموعة من أوائل وأبرز الرحالة والمستشرقين عن الجزيرة العربية ومختلف مناطق المملكة، ورصدتها عدد من المصادر الثقافية والتاريخية. في هذه المقالة نختار لكم بعضاً من أهم الأسماء التي مرت خطاها على كثران رمال المملكة العربية السعودية فكانت لها الأثر الكبير التي تركت انطباعاتهم داخل مؤلفاتهم، والتي تعد مصدراً مهماً لبقية المتلقين.

## ألويس موسل .. تشيكي عربي!

ألويس موسل الأستاذ الجامعي وأحد أشهر الرحالة الأوروبيين إلى شمال الجزيرة العربية أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

ولد موسل عام 1868م في رشترزورف بالتشيك التي كانت تابعة للإمبراطورية النمساوية آنذاك.

اهتم موسل بالعرب وتعلم العربية، وقام بإحدى عشرة رحلة ميدانية من العام 1895 حتى 1917، وقد تنقل بين الأردن والسعودية وعاش بين بدو الرولة حيث قال: "عشت بعض الوقت في مضارب البادية، وهناك كان التفاهم بيني وبينهم كما ينبغي، فلم أشعر قط بأنهم يعاملونني كأجنبي أو شخص مميز عنهم" حتى أطلقت عليه قبيلة الرولة بـ "موسى الرويلي". وتنقل راسماً خرائط دقيقة للمنطقة، وقد أجبرت بحوث موسل أكاديمية العلوم النمساوية في عام 1902م على تشكيل لجنة علمية أسمتها "لجنة شمال الجزيرة العربية" تتولى فقط تصنيف ودراسة المادة العلمية التي أحضرها موسل خلال رحلاته المتكررة إلى المنطقة العربية.

واكتشف موسل خلال فترة وجيزة مناطق لم يصلها أوروبي قبله، وإضافة إلى اكتشافه لقصير عمرة في الأردن، وجمعه عدداً من النقوش العربية القديمة، ومواد علمية أخرى ذات أهمية لغوية وتاريخية بالغة، فقد جلب معه مجموعة كثيرة من الصور الفوتوغرافية ومخططات عدد من المواقع الأثرية والمباني القديمة ووضع خارطة للجزيرة اعتمدت فيما بعد وكانت في غاية الدقة.



ألويس موسل



ألويس موسل

## ويليام فايس مصور الصحراء الأول

بدأ المصور والكاتب ويليام فايس William Facey حياته المهنية في جامعة أكسفورد وبرز كمؤرخ بارز في شبه الجزيرة العربية. عمل لسنوات عديدة كمستشار في مشاريع المتاحف في شبه الجزيرة العربية، ولا سيما في علم الآثار والتاريخ وشعوب الدول الفردية. كما شارك في تخطيط المتاحف والمعارض في إنجلترا وأوروبا وأمريكا الوسطى والشرق الأقصى. له كتب عديدة منها: "العودة إلى الأرض"، "الأرض المتحولة"، "شبه الجزيرة العربية وأرامكو والمملكة العربية السعودية" ويظل كتابه الأشهر هو "المملكة العربية السعودية بعيون المصورين الأوائل" حيث رصد مئات الصور عن المملكة منذ أوائل القرن الماضي. وتكمن أهمية ويليام فايس بأنه يستعيد التاريخ من خلال المخزون البصري وقراءة مفردات الصور وعرضها.

## "محمد أسد" أسد المستشرقين

رحالة وعالم نمساوي أسلم من قراءاته فتحول من "ليوبولد فايس" إلى محمد أسد ليصبح المسلم الأكثر تأثيراً في أوروبا القرن الماضي. ترعرع في فيينا، ودرس الدين طفلاً ثم دخل قسم الفلسفة في جامعة فيينا ووضع الأسس النظرية لتأسيس دولة باكستان التي غدا ممثلاً لدى الأمم المتحدة بعد أن نال جنسيتها. بدأ بتعلم اللغة العربية في أروقة الأزهر. وانتقل للعيش في القدس والتقى بالعديد من الشخصيات الإسلامية الرفيعة وبنى معها صداقات وعلقات واسعة، فزار عمر المختار والشاعر الكبير محمد إقبال إلا أن صداقة ربطته بالملك عبدالعزيز آل سعود يرحمه سنة 1927، حولت حياته وكتب درة كتبه وهو "الطريق إلى مكة" الذي ترجم إلى لغات عدة واتخذ من المدينة المنورة



محمد أسد

مقراً لإقامته، متجولاً في ربوع البلد مدة ست سنوات (1927م - 1933م)، وحج خمس مرات، وكان خلال إقامته تلك في ضيافة الملك عبدالعزيز.

يقول عن سبب دخوله إلى الإسلام أنه في يوم راح يحاور بعض المسلمين مناقحاً عن الإسلام ومحملاً المسلمين تبعة تخلفهم عن الركب الحضاري، لأنهم تخلفوا عن الإسلام؛ ففاجأه أحد المسلمين الطيبين بهذا التعليق: "أنت مسلم، ولكنك لا تدري!".

فضحك أسد قائلاً: "لست مسلماً، ولكنني شاهدت في الإسلام من الجمال ما يجعلني أغضب عندما أرى أتباعه يضيّعونه"، تلك الجملة على حد تعبيره غيرت حياته كثيراً.. يقول في كتابة الطريق إلى مكة: "جاءني الإسلام كأنور إلى قلبي المظلم، ولكن ليبقى فيه إلى الأبد والذي جذبني إلى الإسلام هو ذلك البناء العظيم المتكامل المتناسق الذي لا يمكن وصفه، فالإسلام بناء تام الصنعة، وكل أجزائه بعضها قد صيغت ليتم بعضاً".

## الهولندي التنبؤي!

مستشرق من نوع خاص جداً، إنه مستشرق الأنفية الثالثة بكل تقنياتها وكل معطياتها الجديدة، الدكتور مارسيل كوبرشوك Marcel Kupershoek الدبلوماسي الهولندي الذي عمل في سفارة بلده في المملكة العربية السعودية ليغادرها مفتوناً بالرمال وحالماً بالعودة دون نقل السياسة والأوراق الرسمية... وهذا ما فعل لاحقاً.

لقد تغفل هذا الهولندي في البدو والبدو لغةً وتقصيلاً حتى سأله أحد البدوان: هاه يا الخو، أنت من وين؟ فأجاب مارسيل، أنا من هولندا طال عمرك.

مارسيل في الأصل باحث متخصص في الأدب العربي،



فلنا أن نعلم أن رسالته في الدكتوراه كانت عن الأديب المصري يوسف إدريس ولكنه أُلغ بالشعر النبطي خلال إقامته في السعودية، حيث بلغ به الأمر أنه كان يعرض عن درجة حرارة 50 مئوية وعن رياح السموم ليقطع مئات الكيلو مترات في سبيل تسجيل قصيدة لا يعرفها، أو كتابة ملحوظة على هامش دفتره الذي كبر فيما بعد وأصبح كتاباً من أهم الكتب التي تناولت البداوة اسمه: "البدو الأخير".

لقد افتتن هذا الهولندي، ابن الطواحين والزهور برمال الصحراء، فكان يقضي إجازته في الصحراء القاسية مفضلاً إياها على مشاغل الورد على طول خريطة هولندا، وتمكن خلال فترة قصيرة من فهم الشعر النبطي ونقده وعرضه أكثر من أبناء الصحراء أنفسهم.

مارسيل كوربرشوك كان يمتلك سيارة صحراوية سماها "حمرة" جاب بها كل رمال المملكة وذكرها في كتابه "البدو الأخير" وتغزل بها كما يتغزل أي بدوي بناقته، يقول مارسيل في كتابه: "لقد كان البدو كرماء كما وصفتهم الحكايا، أستطيع أن أجزم أنه في نهاية رحلتي كانت المملكة العربية السعودية قد فقدت قطعياً واحداً على الأقل من قطعانها، ذبحت خرافه على شرفي".

### رسوان.. عاشق الخيل والرياح!

يُعد المصور والرحالة الألماني كارل رينهارد رسوان Carl Reinhard Raswan أحد أعظم خبراء ورعاة الخيل العربي الأصيل في الجزيرة العربية. وترك العديد من المؤلفات عن الخيول العربية والتي أصبحت فيما بعد مراجع للمهتمين والباحثين.

فهو عالم وباحث في السلالات العربية، وضع كل جهده العلمي في كتابه المسمى "فهرس رسوان"، وهو عبارة عن مجموعة واسعة من معلومات الخيل العربية وسلالاتها.

اختلط رسوان مع البدو وفهم طرق حياتهم وعرف الثقافة في الجزيرة العربية. وذكر في كتابه "الخيام



كارل رينهارد رسوان (الأول يمين) يجلس بين مجموعة من أفراد من قبيلة الرولة عام 1926

السود" قصة إقامته لربع قرن بين البدو، حيث أقام بين "الرولة" شمال المملكة وعشق الصحراء، واحتمل ظروفها القاسية وشارك البدو تنقلاتهم وهجراتهم، فروى كيف ارتحل 30 ألف بدوي ومئات الخيام وآلاف الجمال بحثاً عن الماء والمرعى في بدايات القرن وقبل الحرب العالمية الأولى في 1919 بدايات رحلته.

إن ما أتى برسوان هو الحصان العربي الذي وصفه بأنه "حجر المغناطيس" الذي جذب ليروي حكايا على هامش هذا العشق.

ويصف كرم العرب وحسن وفادتهم وضيافتهم بحادثة لا ينساها على حد تعبيره حيث يروي أنه نزل بمضافة شيخ لديه حصان صقلاوي من أنقى السلالات رفض أن يبيعه إلى الفرنسيين بمبلغ 800 ليرة ذهبية، لكنه في يوم وداع رسوان انتحى الشيخ به جانباً عند أقصى وتد من أوتاد الخيمة وقال له: لاحظت منذ مدة أنك أحببت المهر الصقلاوي، إنه أفضل حصان في سلالتنا، وإنني لسعيد أن أقدمه هدية لك حتى تتذكر صداقتنا وخيولنا النبيلة، خذ معك الحصان ولا تذكر أية كلمة شكر أو ثمن حتى تعيش هذه الذكرى صافية في قلوبنا.

### الأميرة البريطانية الليدي "آن بلانت"

أشهر النساء المستشرقات التي ثقلت بين القبائل العربية في السعودية، حيث قدمت بصحبة زوجها، وتحركت في الشمال السعودي، ويرجع لها التغيير في الحصان العربي الأصيل بعد أن نقلته مع زوجها إلى بريطانيا.

وأقامت الليدي "آن بلانت" في الجوف وانطلقت من هناك لتوثق باقي معالم الجزيرة العربية، ولها مؤلف "رحلة إلى بلاد نجد"، وتحركت مع عدة قبائل في الشمال، كما أنها شهدت حرباً بين قبيلتين على المراعي، وتقدمت بنفسها للصلح بين القبيلتين. ولم تكن "آن بلانت"، السيدة الوحيدة التي عبرت الجزيرة



المستشفة البريطانية الليدي "آن بلانت" بالزبي العربي

العربية، فقد سبقتها "غيرترود بيل" التي استطاعت دخول حائل، وتوثيق تاريخها وبناتها في تلك الحقبة.

### عبد الله فيليبي

من مواليد جزيرة سيلان، كان مولعاً بالرحلات الاستكشافية وكثير الاهتمام بعلم الآثار، ويعود الفضل إلى فيليبي في اكتشاف عدد من النقوش النحوية في شمال الجزيرة العربية فزاد عدد المكتشف منها من ألفين إلى ثلاثة عشر ألفاً، تقرب فيليبي من الملك عبدالعزيز، وعين مستشاراً للشؤون الخارجية، حيث تلقى الدعم المعنوي والمادي اللذين مكناه من زيارة مناطق كثيرة في الجزيرة العربية لم يستطع زيارتها أحد من الرحالة الذين سبقوه، وصف الرياض عامي 1917/1918م بشكل مفصل في كتابه (قلب جزيرة العرب) نشر فيه عدداً من الخرائط والصور غدت مرجعاً مهماً للباحثين بعده، في عام 1925م اعتنق



عبد الله فيليبي بالزبي العربي

الإسلام، وترك خدمة الحكومة البريطانية، واستقر في مكة المكرمة وتسمى بعبد الله.

### جيرالد دو جوروي

في أوائل سنة 1934م وصل إلى الرياض قادماً من جدة المستشرق والمفوض السياسي البريطاني في دولة الكويت، على سيارته الشفروليه موديل 33م بعد أن قطع المسافة بين جدة والرياض بما يقارب ستة أيام، وذلك لرصد مشاهداته عن العاصمة الرياض والتعرف إلى شخصية الملك عبدالعزيز الذي تناقل الأوروبيون والعالم صفاته الفريدة.

عرف عنه الدقة والصدق في التدوين، وألف كتاب "اللقاء مع عملاق في حجم جبل (1934م)" و"في البر مع الملك عبدالعزيز (1935م)".

### يوليس أويتنج

يعد كتاب "رحلة داخل الجزيرة العربية" أول ترجمة عربية ليوميات رحلة المستشرق الألماني (يوليس أويتنج) إلى الجزيرة العربية التي بدأت بوضوله إلى (كاف) في 10 سبتمبر عام 1883م وانتهت بمغادرته ميناء (الوجه) في يوم 14 أبريل 1884م. وقد زار الرحالة العديد من الأماكن منها كاف، والجوف، وحائل وتيماء، وتبوك، والحجر "مدائن صالح" والعلا، وتلقي هذه الرحلة الضوء على جوانب متعددة من تاريخ هذا الجزء من الجزيرة العربية والحياة الاجتماعية والاقتصادية السائدة في ذلك الوقت.

### دمنجو باديا (علي باي العباسي)

في 1807/1/21م وصل الرحالة الإسباني دمنجو باديا إلى مكة المكرمة.

وكانت تلك الزيارة هي أهم محطات خط سير رحلة هذا الرحالة المغامر الذي كان أول أسباني يزور مكة المكرمة وثالث أوروبي عرف أنه دخل المدينة المقدسة في التاريخ الحديث.

اهتمام باديا بالتضاي السياسية لم ينسه التصوير الوصفي الدقيق لما شاهده وعاشه من مشاهد اجتماعية وانتروبولوجية وجغرافية وأثرية وعلمية، سواء في مكة المكرمة أو في جدة أو في غيرهما من الديار والمواقع التي مر بها.



يوليس أويتنج بالزبي العربي

### ويلفريد ثيسنجر

يعد ويلفريد ثيسنجر آخر مستكشفي الجزيرة العربية، وقد عبر الربع الخالي أكثر من مرة، وقام برحلات في نجد وعسير خلال إقامته في السعودية بين عامي 1936 إلى 1950م.

يُعد "مبارك بن لندن" مرجعاً تاريخياً مهماً لرحلاته، حيث قام بالتقاط صور نادرة للحياة اليومية في السعودية. "ثيسنجر"، أطلقت عليه قبيلة الصيغر اسم "مبارك بن لندن"، وقد خرج من الربع الخالي بكتاب "الرمال العربية" وثق فيه بالصور المعلومات الهامة عن حياة القبائل، الذي يعد مرجعاً مهماً حول الربع الخالي بكافة تفاصيله.

عبر ويلفريد ثيسنجر الربع الخالي مرتين ما بين عامي 1945 و 1950 للميلاد. وكان من أهم مرافقيه شابين من قبيلة الرواشد الكثيرة وهم "سالم بن كيبنة الراشدي" وسالم بن غبيشة الراشدي.

توفي ويلفريد ثيسنجر (مبارك بن لندن) الرحالة والمكتشف البريطاني الشهير في 24 أغسطس 2003 للميلاد وهو يناهز 93 من العمر، في لندن.



ويلفريد ثيسنجر (مبارك بن لندن)